لولا أناغنوستاكى

لقاءفى الليل

قدمت «لقاء فى الليل» أول مرة ، مع مسرحيتى «المدينة» و«الاستعراض» فى سهرة واحدة بعنوان «المدينة» على مسرح «الفن» بأثينا فى مايو عام ١٩٦٥ .

الشخصيات

ميمى : فى حوالى الأربعين من عمره ، من النظرة الأولى إليه يبدو عليه «عدم الاكتراث» ، وعصبيته لاتبدو لها دلائل خارجية قوية .

صوفيا : فى السادسة عشر من عمرها . لا تهدأ حركتها ، صفيقة ، تكاد تكون عدوانية الطابع ، وفيها شىء شيطانى نفعى داخل تفاهة وجودها اليومى .

العجوز : عجوز رقيقة حنون . حركتها بطيئة متشنجة .

(غرفة ذات أثاث غير متجانس ، من بقايا مختلف المستأجرين الذين مروا بها في أزمان متفرقة .

أريكة فسيحة ، منضدة سرير ، دولاب لأدوات المائدة ، مدفأة حديدية . في الوسط منضدة عليها مصباح كهربائي بغطاء مهدب الحواشي . النور مضاء . دولاب صغير ذو أرفف ، وبضعة كراس . الباب الرئيسي إلى اليمين يطل على العتبة . وعندما يفتح يبين الممر الخارجي والدرجات الأولى لسلم يقود إلى الطابق الأعلى.

على اليسار باب آخر يقود إلى المطبخ .

عندما يفتح الستار تبدو العجوز مولية الجمهور ظهرها ، منحنية على الدولاب الصغير ذي الأرفف . تسمع موسيقى منبعثة من أرغن صغير . تستدير العجوز ببطء نحو الجمهور . يتضح الآن إنها تمسك ساعة قديمة تصدر عنها الموسيقى . ترفع الساعة ببطء إلى أذنها . تبتسم ابتسامة خفيفة . تخفض الساعة عن أذنها وتوقف الموسيقى . وبقطعة من قماش تمسك بها في يدها تنظف الساعة . ثم تشرع بحركات بطيئة عقيمة في تنظيف الأثاث . تستدير وتنظر إلى المصباح المضيء . ترفع قليلا يدها ممسكة بقطعة القماش ، كما لو كانت تريد أن تنظفه، ولكنها تعدل عن ذلك وتغمض عينيها قليلا ، وتخفض يدها . بحركات وئيدة تكاد تكون آلية تمضي إلى المدفأة الحديدية ، وتحاول أن توقدها .

يدق الجرس . وبذات الخطوات تذهب إلى الباب وتفتحه . تدخل صوفيا . ترتدي معطفا سميكا ومنديلا على رأسها ، وتحمل حقيبة يد ، وحقيبة سفر كبيرة) .

العجوز : (بعذوبة ، مبتسمة ابتسامة واهية ، وبصوت ناعم) مساء الخير ، تفضلي .

صوفيا : (دون أن تتحرك . بارتباك قليل) من يسكن هنا ؟

العجوز : (على ذات حالها) تفضلي . إنه ينتظرك . ينتظرك أنت . (تخطو صوفيا داخلة) تأتين من بعيد ؟ (تنظر إلى الحقيبة) ضعي حاجاتك هنا . تبدين متعبة . لحظة ، سوف أناديه .

(تمضي خارجه من باب المطبخ . تجيل صوفيا بصرها فيما حولها . تخلع المنديل وتنفض شعرها . تعود العجوز بمظهرها السابق) .

العجوز : سيحضر بعد دقيقة ، أما أنا فسأبادر بالانصراف . رتبت الغرفة . وأوقدت لكما المدفأة . بعد قليل سيسرى الدفء . (تجيل بصرها فيما حولها) يطيب الجلوس هنا . أما أنا فسأصعد إلى فوق . أقيم بالطابق الأول ، مع ابنتى. نحن وحيدتان . (تقترب منها قليلا ، كما لو كان تريد أن تتفحصها) كم أنت جميلة ؟ ابنتى دميمة . تغلق الباب على نفسها ، وتجلس طوال النهار فى غرفتها . لا تريد الخروج لأنها دميمة . هى دميمة ، ابنتى المسكينة الصغيرة (يدخل ميمى من الباب الأيسر) .

ميمى : (إلى صوفيا) آه ، جئت ؟

صوفيا : أخيراً ! اعتقدت أننى لن أجد البيت أبداً .

العجوز : إنى أنصرف . أنصرف (تذهب حتى الباب . تتردد ، تلتفت نحوهما مبتسمة) . ستخبز ابنتى فطيرة الليلة . أنها تخبز فطيرة يوم الأحد . طعمها لذيذ جداً . إذا أردتما ، ولم يكن لديكما ما تفعلانه ، تعاليا فى التاسعة لنشرب الشاى ، ولنتذوقا الحلوى التى تصنعها ابنتى (تخفض راسها وتهزها كما لو كانت تشجعهما) تعاليا . .

(تخرج)

صوفيا : من هذه ؟

ميمي : (بحركة مبهمة) عجوز تقيم بالطابق الأول .. تأتى من وقت لآخر لترتب الشقة . تقولين ، وجدت البيت بمشقة ؟

صوفيا : (ثائرة الاعصاب) مشقتى لا تكفى الكلمات لوصفها . (تجيل نظرها فيما حولها من جديد) يالها من غرفة كريهة ... تقيم فى أقصى الدنيا ، هيه ؟ كل هذه الأزقة الضيقة ، متاهة حقيقية . ويالسخف تلك الفكرة ، فكرتك ألا أجىء معك ، بل انتظر نصف ساعة قبل أن أتحرك قادمة.

ميمي : لم أكن أريدهم أن يروننا .

صوفيا : هل عليك أن تقدم حسابا لأحد ؟

ميمي : لا أحب الأقاويل . ليس للناس من عمل سوى ترديد الأقاويل .

صوفيا : ولهذا وجب على أن أتحمل كل هذه المشاق ، تحت المطر، باحثة عن بيتك ؟

ميمي : رسمت لك موقعه .

صوفيا : لا أفهم مثل هذه الرسوم . لا أجد طريقى على هديها بسهولة . لو كنت ذكرت لى اسمك على الأقل لسألت أحدا عنك .

ميمي : أرجو ألا تكونى قد سألت .

صوفيا : أى نكتة هذه . عم أسأل ؟ عم إذا كان يسكن بالقرب من هنا شاب طويل القامة يرتدى بلوفر ، واذكر لمن أسأل أوصافك ؟

ميمي : هيا ، اخلعي معطفك كي يجف من البلل . (ينحني على المدفأة محاولا أن يشعلها من جديد) .

صوفيا : بالطبع سأخلعه ، وسأخلع أيضا جوربي وحذائي . إني مبتلة تماماً . انغرست في الوحل حتى ركبتي . (تجلس أمام المدفأة ، وتشرع في خلع حذائها) ما الذي سول لك أن تسكن في هذا الحي ؟ أهذه شوارع ؟ ألا يضعون على الأقل مصباحًا يرى المرء على ضوئه أين يطأ قدمه ، وإن كنتُ أعتقد أن مدينتكم كلها ليست أفضل من هذا الحي . إنها لم تعطني انطباعا حسنا قط . قل لي ، أهي مطيرة هكذا مطرا لا ينقطع على الدوام ؟ منذ وطئت قدمي مدينتكم ، وهذا الجو السيء لم يتوقف . إسمع ، ألديك شيء من الملابس تعطينيه كي أرتديه ؟ سترة ، بيجاما مثلا ؟ (ينهض ميمي ، ويخرج من الباب الأيسر . بينما تمضي صوفيا تقول) لا أريد أن افتح حقيبتي من أجل ليلة واحدة . (في هذه الاثناء تكون قد خلعت معطفها وحذاءها وجوربها . تخرج من جيبي المعطف الكبيرين خفين قطيفيين وترتديهما . يحضر لها ميمي ثوبا نسائيا) من صاحبة هذا الثوب ؟

ميمي : زوجتي . اختلط ثوبها بأشيائي .

صوفيا : زوجتك ؟ أنت متزوج ؟

ميمي : (يلتفت إلى الثوب) كنت .

صوفيا : (تلعب إلى جواره وهي ترتدي الثوب) آه ، لماذا تقول كنت؟ هل ماتت ؟

ميمي : افترقنا .

صوفيا : بالطلاق؟

ميمي : (مجاهداً كي تشتعل الذبالة) كلا .

صوفيا : إذن ، أنت متزوج . أفهم الآن السبب فى هذه الاحتياطات . أرجو ألا اتعرض لمتاعب ، أنا فى غنى عنها .

ميمي : (يستدير وينظر إليها) أى متاعب ؟

صوفيا : من أين لى أن أعرف ؟ للشيطان سيقان كثيرة . ربما كلفت زوجتك أحدا بأن يتعقبك ، كى تحملك أنت مسئولية الطلاق . ألا يحدث ذلك فى مثل هذه الحالات؟ وعلى الأخص ، إذا كانت قد لمحتنى عين أدخل إلى هنا ، فكم سيصعب أن نعلل سبب وجودى عندك وارتدائى هذا الثوب . ثم أننى قاصر ، هيه ؟ لا تنس ذلك . .

ميمي : شط عقلك بعيدا جداً .

صوفيا : آه ، أنا أفكر فى كل شىء . لأننى لو لم أفكر فى أمورى ، فمن سيفكر فيها غيرى . والآن ؟

ميمي : الآن : ماذا ؟ . . ليس ثمة ما يبرر أن تقلقى . لن يضايقك أحد .

صوفيا : أهو أمر مؤكد ؟

ميمي : (غاضبا) آه ، أنت لا تطاقين ! ماذا تريدين ، أن أوقع لك تعهداً ؟

صوفيا : حسنا ، حسنا ، لا تغضب . (تأخذ ثيابها وتنشرها أمام المدفأة) هل تسمح بذلك ؟ انظر ، سأنشرها هنا كى تجف . تحسن صنعا بإيقاد المدفأة . ربما لم يحن موسم إيقاد المدافىء بعد ، لكنى أحب الدفء . وثمة رطوبة تخترق العظام . آخ ، تخشبت يداى . تريد أن أساعدك ؟

ميمى : كل شيء على ما يرام . اشتعلت .

صوفيا : حسنا ، سيدب فينا بعض الدفء . (تمد ساعديها نحو النار) حقا ، ما اسمك ؟

ميمى : ميمى .

صوفيا : ميمى فقط ؟ واسم الأب ؟ (لا يجيب) فهمت ، لاتريد أن تخبرنى باسمك كاملا . وعلى الرغم من كل ما تقول ، تخاف ، لأنك متزوج . . ومن أين لى أن أعرف ؟ ربما كنت تكذب إذ تقول إنك افترقت عن زوجتك . ربما كانت على سفر . وربما كنت تستأجر هذه الغرفة كى تستقبل فيها زوارك . لكن ، كلا ، هذا أمر يكاد يكون مستبعدا ؛ لأنك ما كنت ستكدس كل هذا الأثاث فيها . على كل حال ، شيء واحد أريد أن أوضحه منذ البداية ، لستُ ممن تظن أننى منهن ، لأنك دعوتنى للحضور إلى بيتك وقبلت فورا . لا أحب أن أنام وحدى فى الفنادق . شبعت منها . هذا كل ما فى الأمر . لماذا تنظر إلى على هذا النحو ؟

ميمى : على أى نحو أنظر إليك ؟

صوفيا : (بضراوة) سيكون الأمر طريفا لو كنت قد ندمت من الآن على إحضارى إلى هنا . إذا كنت تضجر منى سأنصرف. تكلم هل تريدنى أن أنصرف ؟

ميمى : الأمر سيان بالنسبة لى .

صوفيا : أنت رجل غامض . . . (تذهب إلى الأريكة وتجلس عليها) على الرغم من ذلك فإنك توحى إلى بالثقة ، ربما لأنك تبدو أكبر سنا منى بكثير . كم سنك ؟ أربعون ؟

ميمى : تقريباً .

صوفيا : (تهز ساقيها بانتظام) أرأيت ؟ من بين كل الرجال الذين كانوا يقفون خارج المحطة، اخترتك أنت ، واقتربت منك أسألك أين يمكننى قضاء ليلتى . وعندما قلت لى «فى بيتى» تبعتك فورا . كان باستطاعتى على أى حال أن أتحدث إلى أحد الشبان ، أليس كذلك؟ كان هناك شاب يرتدى بلوفراً أحمر ، ويتظاهر بقراءة مجلة رياضية ، بينما كان يلتهمنى بنظراته . وعندما نهضت مبتعدة ، مضى يتعقبنى . صدقنى .

ميمى : مضى يتعقبك ؟ لا أعتقد أنه تبعكِ إلى هنا .

صوفيا : كلا . بطبيعة الحال . إنك خائف حقا ! كلا ، كلا ، لم أكن أريد مشاكل . رمقته بنظرة شرسة ، فعاد إلى مكانه . (تبتسم) كان وسيمًا . ربما اخطأت إذ لم أحدثه . ما رأيك ، هل اخطأت ؟

(يتناول ميمى الساعة الموسيقية بين يديه ويتحسسها بأنامله) .

ميمي : لم أسمع . ماذا قلت ؟
صوفيا : أرى ذلك . أنت منشغل البال (تنهض واقفة) كم غرفة لديك ؟
ميمي : هذه . إنك لم تدخلى قصرا .
صوفيا : (تضحك) ليست هذه غرفة قصرا على أية حال ، إنها بهو . المكان فسيح، لا أنكر ذلك . . (تذهب إلى اليسار) إلى أين يقود هذا الباب ؟
ميمي : إنه يقود إلى المطبخ والحمام .
صوفيا : حسن أن يكون لديك حمام . أهناك ماء ساخن ؟
ميمي : كلا . . لكن إذا كنت تريدين ، أسخن لك ماء .
صوفيا : هيه . . كنت أريد أن أغسل شعرى . . لكن ، دعك من ذلك . . ليكن ذلك فيما بعد . . الآن ، أريد أن أستريح . إذن ، هذا بيتك كله . هنا ، كنت تعيش مع زوجتك ؟
ميمي : كلا ، كنا نستأجر بيتا آخر . أوسع من هذا بقليل .
صوفيا : هل أنت فقير ، هيه ؟ ألهذا هجرتك ؟
ميمي : من ؟
صوفيا : زوجتك .
ميمي : هل قلت لك أنها هجرتنى ؟
صوفيا : هذا ما فهمته . ما هو عملك ؟
ميمي : ليس بالعمل المهم .
صوفيا : وماذا يعنى ذلك ؟

ميمي : أعمل فى دكان . يبيع عاديات ، وأشياء أخرى صغيرة من بقاع مختلفة . لا تساوى أغلبها مليما . لكن هناك أيضاً أشياء صغيرة جميلة . انظرى ، مثل هذه . . . (يقترب منها ويريها الساعة التى يحملها) .

صوفيا : ما هذه ؟

ميمي : ساعة . (يشغل العدة فتسمع الموسيقى . ينصت الاثنان بضع ثوان صامتين) من الذهب منقوشة ، وبالميناء مطلية بيد صانع ماهر من القرن الثامن عشر فى قرية صغيرة خارج نورمبرج . عددها بطبيعة الحال تالفة .

صوفيا : أهى غالية الثمن ؟

ميمي : بالنسبة لى غالية جداً . (يضعها على رف الدولاب ويتأملها بإعجاب) وضعت عينى عليها منذ البداية . كلفتنى مرتب شهرين . اشتريتها بالتقسيط طبعا .

صوفيا : وهذا الشيء هناك ؟

ميمي : هذه محارة من ماراكيبو .

صوفيا : كبيرة إلى هذا الحد ؟

ميمي : ضعيها على أذنك . ماذا تسمعين ؟

صوفيا : هديرا .

ميمي : كما لو كنت فى البحر ، هيه ؟

صوفيا : صدقت - وريح تهب أيضا . . . من أين جاءت هذه ، قلت ؟

ميمي : من ماراكيبو .

صوفيا : آه . . . وهذا الخنجر ؟

ميمى : الخنجر ؟ كلا ، لم أشتره من الدكان . أهداه لى أحد الأشخاص . إسبانى ، من توليدو .

صوفيا : (تجربه) إنه حاد النصل .

ميمى : (يبتعد عنها) أتريدين أن تأكلى شيئا؟ أن تشربى ؟ (يذهب إلى دولاب أدوات المائدة ، ويفتحه ، يخرج زجاجة كونياك وقدحا) .

صوفيا : لا أشعر بالجوع هذه اللحظة . لكن إذا قدمت لى قدحا ساخنا تناولته راضية . (تتجول وتتأمل المكان والأشياء من حولها) ماذا عندك ؟

ميمى : كونياك ، قهوة ، شاى .

صوفيا : عندك لبن ؟

ميمى : أجل (يشرب قدحه جرعة واحدة) اجلسى ، سوف أحضر لك طلبك (يملأ قدحا ثانياً ويخرج من اليسار . تمضى صوفيا وقد ظلت وحدها تتأمل الغرفة . ترفع صوتها كى يسمعها ميمى) .

صوفيا : ألا يمكن تهوية هذه الغرفة من مكان ما ؟

ميمى : (من خارج المسرح) اجذبى الستائر الموجودة فوق الأريكة .

صوفيا : آه ! ياله من فناء جميل ! ما اسم هذه النباتات ؟

ميمى : غليسينيس .

صوفيا : غليسينيس . اسم جميل . لما لا تترك النافذة مفتوحة ؟

ميمى : (يدخل حاملا قدح اللبن) لا أريد أن يتسلى الجيران بالنظر إلى . اغلقيه !

صوفيا : الجيران ؟ من غيرك يسكن هنا ؟

ميمي : لا أعرف . أنا حديث العهد بهذا البيت .

صوفيا : لو كنت أنا لعرفتهم جميعا في يوم واحد . يطيب لي أن أتكلم مع الناس . (كانت في سيرها قد اقتربت مما يبدو أنه ستارة تجذبها) آه ، نافذة أخرى . ما هذه الأنوار ؟

ميمي : الأحياء القديمة .

صوفيا : أيضيرك أن أتركه مفتوحا هنيهة ، كي أنظر إلى الخارج ؟ (تتناول قدح اللبن) غدا ، سأتجول في المدينة . مادمت قد وجدت بها فلأتعرف عليها . لن أخسر شيئا . ربما راقت لي أيضا . هذا شأني دائما . في البداية ، يبدو لي كل شيء سيئاً ، ثم أتعود . مثلما حدث لي في هذه الغرفة . ما أن دخلت حتى قلت لنفسي . كيف يمكن أن يعيش أحد هنا ، اما الآن فقد تعودت عليها وانتهى الأمر . ماذا تشرب أنت ؟

ميمي : كونياك !

صوفيا : تعبه عبا ، كما يقولون . إنه مستحب في هذا البرد ، هيه ؟ في ألمانيا يشربون كثيرا ، كل المشروبات . (عادت تجلس على الأريكة من جديد ، وتشرب لبنها رشفة رشفة) قضيت ثلاث سنوات في ألمانيا . من هناك جئت . أوه ! أجلس وأحكي لك أمورا كثيرة عني ، وأنت لا تبدو أنك تكترث بها كثيرا . ولكن ها أنا أحمل معي حقيبة ضخمة ، ألا يجدر أن تعرف السبب ؟ إني قادمة من سفر بعيد . كنت مع أمي . قد تسأل كيف تواجدت

امرأتان في ألمانيا . إنها قصة طويلة . كان أبي قد ذهب إلى هناك ليعمل ، وذلك منذ أمد بعيد . سافر دون أن يخبر أحدا ودون اكتراث بنا . وفجأة ، منذ ثلاث سنوات تلقينا خطابا منه ، يدعونا للحضور إليه . بعنا كل ما لدينا ، بعض الأثاث القديم وما شاكل ذلك وانطلقنا إلى ألمانيا . ولكن عندما وصلنا إلى العنوان الذى كتبه لنا أبي اختفى . انشقت الأرض وابتلعته ، ولم يعد لدينا مال نعود به . لأننا أنفقنا فى البحث عن أبي كل شيء . وفى النهاية وجدت أمي عملا عند بعض الأمريكيين واستقر بنا الحال . وعدت أنا الآن إلى اليونان (ترفع كتفيها) يجب أن أنزل إلى اثينا لأقيم عند خالة لى . لكننى مللت أن أبدأ كل شيء من جديد . اتعرف . كما سبق أن قلت لك من قبل ، سأقوم بجولة فى المدينة ، وإذا راقت لى ، ربما استقر بى المقام هنا . لكن الأمر سيحتاج أن أجد عملاً . ألن تساعدنى أبداً؟ .

ميمى : من الصعب أن تجدى عملا فى مدينة صغيرة .

صوفيا : فى هذا الدكان الذى تعمل به ، ربما احتاجوا إلى فتاة . أعرف الألمانية وقليلا من الإنجليزية .

ميمى : لا تتصورى الأمور على هواك . ليسوا بحاجة إلى مستخدمين . لديهم مافيه الكفاية .

صـوفيـا : لكن قد يعرفنى صاحب الدكان الذى تعمل به بآخرين . لن تخسر شيئا لوأخذتنى كى أتعرف به . هل آتى معك صباح غد ؟

مـيـمى : صباح غد ؟ لن أذهب غدا صباحا .

صـوفيـا : إذن ، صباح بعد غد ؟

مـيـمى : ولاصباح بعـد غد . إنى لا أذهب إلى هناك هذه الأيام . لدى إجازة.

صـوفيـا : إذن ، فلنمر لمجرد أن تعرفنى به .

مـيـمى : (وقد فرغ صبره) كلا ، هذا لا يمكن .

صـوفيـا : ألا تريد أن تساعدنى ؟

مـيـمى : قلت لك . هذا لا يمكن .

صـوفيـا : إذن ، مـادمت بإجـازة ولديك وقت ، ستـأخـذنى إلى واحد من معارفك الآخرين .

مـيـمى : ليس لدى معارف .

صـوفيـا : آه ، فهمـت ! لا تريد . ربما تخشى أننى أنوى أن أبقى هنا ، وأصـبح عـبئـا عليك . أظـن أننى قلت لك من قبل، لست من أولئك اللاتى تظن أننى منهن .

مـيـمى : لا أظن شيئا .

صـوفيـا : كيـف ، كيف ، من أولئك اللاتى يدعـوهن رجل إلى بيته لقضاء بعض الوقت . وإذا بهـا قد التصقت به مثل دودة مصـاصة دمـاء . تصورتنى من الفـتيـات سيـئات السمعة اللاتى يحصلون عليهن من مقاهى المحطات .

ميـــمى : لم أتصور شيئا . ولا حتى يعنينى هذا الأمر .

صـوفيـا : لكنه يعنيـنى أنا ! حيـاتى نقـيـة مثـل البللور . ولست بحاجـة إلى عون من أحـد . لست مفلسـة . عندى ما يكفينى لمدة شهر ونصف على الأقل . أخرجت أمى كل ما فى كيسها وأعطته لى . هل فهمت الآن ؟

ميـــمى : (ثائر الأعصاب) قلت لك لا يعنينى هذا الأمـر فى شىء ! وكـفى عن الاحتـجاج دون سـبب . إنك مـزعجـة . تزعجيننى .

صـوفيـا : حسنا . إذن ، فـلأرحل . ليس عليك سـوى أن تقول لى ذلك بصراحة .

ميـــمى : ترددين وترددين الأقوال ذاتها ! منذ اللحظة التى دخلت فيها ، وأنت تتكلمين عن الرحيل .

- صمت -

صـوفيـا : أنت مـحق . ربما كنت مـزعـجـة . لكن ضع نفـسك مكانى . لا أعرف كيف أتصرف نحوك . لم أعرف بعد ماذا تريد منى . أعتقد أنك . . .

ميـــمى : ماذا اعتقدت ؟

صـوفيـا : لاشىء . (برهة صمت قصيرة) ماعـدت أسمع المطر . تريد . . ربما تريد أن تخـرج فى نزهـة . أليـست هذه فكرة طيبـة ؟ فى طريق مجيـئى لمحت محـلا لبيع الحلوى ، بالقرب من هنا . لابد أنك تعلم عن أى محل أتكلم . هلا ذهبنا إليه نتناول شيئا ؟

مـيـمى : إننى لا أذهب أى محال بيع الحلوى . فيها ضجيج كثير، وأدخنة ، والجميع يتكلمون معا وبصوت جهورى . .

صـوفـيـا : إذن ، فلنبق هنا . فى الحقيقة ، أنا أحب الصخب - وليس ذلك لأنى أجد فيه متعة ، بل لأنى بغيره أضجر، ولا أعرف ماذا أفعل . فى ألمانيا ، فى الأيام الأولى ، كنت على الدوام وحدى . كنا نسكن فندقا قديما . كان صفا من الغرف تطل على ردهة مديدة ضيقة . غرفتنا فى طرفها القصى بجوار دورة المياة . كانت أمى متغيبة طوال النهار . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى . عانيت عزلة موحشة ، لا يمكنك أن تصدق ! اسمع الآن ، عم تفتق ذهنى ! كنت أجلس وراء الباب ، وانتظر أن يذهب أحد إلى دورة المياه . وما أن أسمع خطواته تمر بالخارج ، أفتح الباب قليلا وأتحدث إليه . أقول له «مساء الخير» كيف حالك ؟ » يقف البعض ونتجاذب أطراف حديث قصير ، على أن البعض الآخر أيضاً كان ينتابهم الخجل - لأنى باغتهم ذاهبين للتبول ، وكان يتصادف ارتداؤهم ملابس النوم ، فكانوا يجرون مهرولين إلى دورة المياه . (تضحك) كانوا جميعا تجارا من الأقاليم. نزلاء عابرين. كنت أنا وأمى الوحيدتين اللتين تستأجران غرفة بالشهر - كلا. ليس هذا صحيحا ، كانت هناك امرأة أخرى أيضا . هل تتابعنى ؟

مـيـمى : كيف ، أجل !

صوفيا : كانت تقطن غرفة فى الطرف الآخر من الردهة . عندما أتذكرها يقشعر بدنى . كانت طويلة ونحيلة مثل عصا البليارد . ترتدى ثوبا باهتا ، لازلت اراه امامى ، بزهور حمراء ، أما رأسها . . (تنهض) انتبه ، فالأمر جدير بالاهتمام ، رأسها كله فكان ملفوفا بالضمادات . ولا يبدو من وجهها سوى عينيها وقليل من فمها فحسب . كنت أتعرف عليها عندما أسمعها تمر ذاهبة إلى دورة المياه ، وذلك من صوت خفيها اللذين كانا يزحفان على الأرض زحفا لينا . وكنت أغلق على نفسى الباب بسرعة . كان الخوف ينتابنى . لاتستهن بهذا الأمر . ذات مرة رأيتها فى نومى . كان كابوسا . وأنت ألا ترى فى نومك كوابيس ؟

ميمى : أحيانا .

صوفيا : ماذا ترى ؟ قل لى .

ميمى : أشياء مألوفة .

صوفيا : آخ ، قل لى ، يروق لى أن أسمع . إنى أجزع منها لكنى أفتن بها ! عندما كنت صغيرة ، كنت ألعب مع سائر الأولاد لعبة «الخوف» أتعرفها ؟

ميمى : كلا . إنها أول مرة أسمع عنها .

صوفيا : هذا صحيح ، كيف لك أن تسمع بها ! كانت لعبتى أنا ، تفتق ذهنى عنها ، كنا نجتمع فى الظلام ، ونرى من منا سيخيف الآخرين أكثر من غيره . وكنا نحكى ونحكى

وكـان بعض الأولاد لا يتحـمل ذلك فينهـار سريعـا ، وكان البعض الآخر يمضى فى سرد قصص مرعبة ، عن مسـوخ وخوارق ، وفى النهاية يكـون كل منا قد أطلق صرخته . ما من أحد كان يصمد حتى النهاية . والآن ، هل ستحكى لى عن كوابيسك ؟

مـيـمى : لا أذكر شيئا منها .

صوفيـا : (بلهفة) هيا ، أرجوك ، تذكر .

مـيـمى : (برهة صمت قصيرة . ثم يتكلم ببرود) ذات مرة ، رأيت فى الحلم أن البيت الذى كنت استـأجره آنذاك مع زوجتى ، صار فجأة ممرا .

صوفيـا : (بانفعال شديد) ممر ؟

مـيـمى : أجل . صدر أمـر من الحكومة بأن يصـبح ممرا . وصار لمن يشاء أن يفتح الباب ويدخل ، ويمر خارجا من الباب الآخر . ولم يكن يتسع الـوقت لى ولزوجتى ولا حتى أن ننهض من الفراش ، فقبعنا جالسين ملتفين بالملاءات ، وكـان الناس يمرون ، ويمرون . بل أن أحـدهم زحـزح سريرنا كما لو كان ريشة خفيفة ، كى يفسح الطريق .

صوفيـا : ليس هذا بالأمـر الجـسيم . لو أقص عليك أنا مـا أراه ستمـوت من الخوف . إننى أصرخ فى نومى وأسـتيقظ باكيـة ، أنا التى لم أبك يوما قط . (برهة صمت) . أنت تشرب كثيرا .

مـيـمى : هية ؟

صوفيا : أقول أنك تشرب كثيرا . أدمنت منذ رحلت ؟
ميمي : من رحل ؟
صوفيا : زوجتك .
ميمي : الا تكفين عن الإشارة إلى زوجتى . كفى هذه النغمة .
صوفيا : حسنا ، لا تغضب .
ميمي : يروق لك أن تدسًّى أنفك فى كل شىء .
صوفيا : لابد أن نقول شيئا حتى يمضى الوقت ، وأنت لا تفتح فمك بكلمة . أتكلم أنا على الدوام . الساعة لازالت الثامنة والربع . ليس من بهجة هنا . كما أن الجو بارد . أصدقاء ، أليس لك أصدقاء ؟
ميمي : لماذا تسألين ؟
صوفيا : معارف يأتون لزيارتك . . ما قولك لو يدق أحدهم الباب . .
ميمي : كلا ، ليس لى أحد . ليس من المتوقع أن يحضر أحد.
صوفيا : لو يدق الباب الآن . ويدلف أحدهم هنا . . أنا لا أصدقك . سنك أربعون عاما ، وليس لك معارف . ألم يتصادف حتى عن طريق زوجتك أن توطدت علاقتك بأحد ؟
ميمي : لم يكن معارف زوجتى يساوون مليما واحدا . كنت أضجر منهم .
صوفيا : ولا فى الدكان الذى تعمل به ، التقيت بأحد ؟

مــــيـــمى : ما من أحـد لائق . المسـتـخدمـون منشغلون بعـملهم . والزبائن يأتون ، ينبشون المعـروضات ، يسألون عن هذا الشيء أو ذاك ، ثم ينصرفون .

صـــوفـيـــا : ولكن مـاذا تفعل طوال النهـار ، وأنت وحيـد هكذا ؟

مــــيـــمى : أذهب إلى عملى ، وأعود منه ، وأنام .

صـــوفـيـــا : وعندما يكون لديك إجازة ، مثل الآن ؟

مــــيـــمى : أخرج فى جولة ، إذا كان الجو طيبا .

صـــوفـيـــا : أين تذهب ؟

مــــيـــمى : أذهب بعيدا ، بعيدا عن المدينة . إلى ناحية الحصون . أنت لا تعرفينها . المكان جميل هناك . أمشى كثيراً . أحب المشى . أصعـد عاليا عاليـا وأتأمل المدينة تحتى . المنظر هناك بديع ، وعلى الأخص عند الغروب .

صـــوفـيـــا : وإذا كان الجو مطيرا ؟

مــــيـــمى : أجلس هنا ، وأقرأ .

صـــوفـيـــا : ماذا تقرأ ؟ لا أرى كتابا واحدا .

مــــيـــمى : وضعتها كلها فى صندوق . وبعضها متناثر هنا وهناك .

صـــوفـيـــا : أنا لا أقرأ ابدا . لا تروق لى القراءة . عندما أفتح كتابا أنزلق إلى التفكير فى أمورى ، ويحـدث لى هذا أيضا فى السينما . مـا إن يبدأ الفيلم حتى تنتـابنى الرغبة فى الانصراف . (تتنفض) .

مــــيـــمى : ماذا حدث لك ؟

صـــوفـيـــا : لاشىء . هذه الغرفـة . . ألا يخيل لك أن الضوء فيـها قد خفت ؟

ميمي : ربما بسبب المطر .

صوفيا : ماذا سنفعل لو انطفأ النور تماما ؟ هل لديك شمعة احتياطية ؟

ميمي : سنجد شيئا نستضيء به (برهة صمت . تذهب صوفيا ضجرة إلى النافذة . وتنظر خارجا . يتمتم فجأة شارد البال) أما عن الأصدقاء الذين تتحدثين عنهم فقد كان لى منهم كثيرون .

صوفيا : (تستدير نحوه دون اكتراث) وماذا حدث لهم ؟

ميمي : (ماضيا فى تمتمته وشرود باله) لا أدرى . رحل بعضهم . واختفى الآخرون . مضت سنون دون أن أراهم . كنا نلتقى فى مقهى فى «كمارا» .

صوفيا : (ماضية فى ضجرها وعدم اكتراثها) وما «كمارا» هذه أيضاً ؟

ميمي : (يستدير وينظر إليها) سفينة ، من القرن الثالث الميلادى .

صوفيا : لا تحدثنى عن التاريخ . لا أذكر منه شيئا .

ميمي : مقهى «القمر الجميل» هكذا كانوا يطلقون عليه . فقد علق عند مدخله مصباح على هيئة قمر نصفى .

صوفيا : كنت تتردد أذن على المقاهى .

ميمي : إننى لا أتكلم عن الحاضر . هذا الذى أقوله لك حدث منذ سنين . ولم يكن «القمر الجميل» مثل غيره من المقاهى . على الحائط علقت مرآة كبيرة ذات إطار ذهبى . . ثبتت فى زواياها بطاقات من ورق البردى تصور مناظر طبيعية . كما علقت أيضا صورة لسارة ليناندر فى ملابس الرجال .

صـوفـيـا : المقاهى فى ألمانيا مـزودة بأثاث فاخر و . . (تتوقف لأن ميمى قد شرع يتكلم) .

مـيـمى : كانوا جميعا يحضرون إلى هناك. لم يكن يتخلف أحد . يجلسـون متـجـاورين فى صف واحد . أكـاد آراهم . ميلتوس ، إيـلياس ، يورغوس ، ميخـاليس ، ماريا . كنا نبقى إلى وقت متأخر ، مـتأخر جدا . فكان النعاس يغلب الساقى . وفى بعض الأحيان كان يقترب ويتسمع حديثنا . لم يكـن يفهم شيـئا كان صـبيا ، فى الثـانية عشرة من عمره .

صـوفـيـا : بين الحين والحين كنت أذهب وأرقص . ومـرة واحدة ، مرة واحـدة فحسب ، ذهبت إلـى حفل راقص كبـير . عزفت فيه الموسيقى أوركسترا حقيقية .

مـيـمى : لم نكن نروق لصاحب المقهى . كنا نثير صـخبا كثيرا . كان يقول تثيرون صخبا كثيرا ، وستدق أعناقكم يوماً ، آن أوان أغـلاق المقـهى . كنا آخـر مـن ينصـرف على الدوام . (تنظر إليه صوفيا باهتمـام كبيـر الآن) أجل ، فى ذلك الحين ، كان لى أصدقاء كثيرون .

صـوفـيـا : حسنا . (برهة صمت) وماعـدت تراهم الآن ، من وقت لآخر ؟

مـيـمى : (محادثا نفسـه) نادراً . منذ سنة التقيت مـصادفة بأحدهم، فى الطريق عرفته منذ أول وهلة ، أما هو فلم يعرفنى . أحتاج أن اخـبره باسمى ، حتى يـتذكرنى (تبتعد صوفيا عن

النافذة . تأتى إلى مرآة قديمة ذات إطار ذهبى معلقة إلى اليسار . تتأمل صورتها المنعكسة على اديمها) كان قد خطا فى الطريق الصاعد . كون ثروة . شيء غامض كيف تأتى له ذلك . افتتح منتدى فخما على مقربة من البحر . يلتقى فيه صفوة القوم كل ليلة . (قربت صوفيا وجهها من المرآة ومضت تتحسسه بانامله) سر كثيرا بلقائي . هكذا قال . وذكر لى أنه بدوره ماعاد يرى أحدا من القدامى . أخبرنى أن إحدى فتيات الصحبة صادفته أمام بيته ذات مرة ، لكنها تظاهرت بأنها لم تره . أحزنه ذلك كثيرا . إنها ماريا . كان اسمها ماريا آنذاك ، كنا نعرفها جميعا بهذا الاسم .

صوفيا : كنت أعرف فتاة اسمها ماريا ، وكنا نناديها مارا .

ميمى : قال أن حالها قد ساء . إبيض شعرها. وتهدّل ثدياها . تأثّر كثيرا لما رآها ، لكن تحاشيها له أحزنه أكثر . كما قال لى إنه ليس سعيدا ، وزوجته لاتنجب له أولادا، وهى تعانى من مرض يجعل عرقها كريه الرائحة، حتى أضحى الرقاد إلى جوارها عذابا لايطاق.

صوفيا : (تنصرف من المرآة) الساعة لازالت الثامنة والنصف.

ميمى : (يغضب فجأة) ماذا تريدين فى النهاية ؟ تروحين وتجيئين طوال الوقت ! اجلسى فى مكان واحد !

صوفيا : كان من الأفضل الا أجيء إلى هنا الليلة . أجل كان ذلك أفضل ! سحقاً لكل شيء ! كنت سأدفع مال أسبوع وأستأجر هذه الليلة غرفة فى فندق غالى السعر .

هذه الفنادق شيء آخر . كنت سـوف انزل إلى قاعة الفُندق وأشاهد الناس . لكنني جئت هنا ، وانتهى الأمر. فات الوقت . إلى أين أجـرى فى هـذا المطر ، لن أوفق أبدا في الخروج من هذه الأزمة ، وأصل إلى قلب المدينة .

مـيـمي : ولماذا تريدين أن تنصرفى ؟

صـوفـيـا : لا يروق لى الجـو هنا! هذا هو السبب ! شيء مـا يطبق على صدرى، يعتصـر قلبى ! أختنق ! وفضلا عن ذلك فأنت ضجر منى . أرى ذلك . لا تعـيرنى انتباها . إما أن تتـحدث إلى نـفسك أوتغلق فـمك . لا أفـهم لماذا دعوتنى ، مادمت منذ أول لحظة قد سئمت منى . وهذا الضوء يزداد خفـوتا كلما تقدم الوقت . تنتـابنى الرغبة فى أن أخـرج إلى عـتـبة الـسلم وأطرق بابا ، أى باب ألقاه! أتعـرف أن وقت الطعام قـد حان ؟ لابد أنهم فى الشقق الأخرى يتأهبون للجلوس إلى المائدة .

مـيـمى : سألتك من قبل ، فقلت لى أنك لست جائعة .

صـوفـيـا : تفهم جيدا ما أقول ، وليس لى رغبة فى أن آكل ، وأنا أرى وجهك الجـهم . آه ، اسمع ! سأصـعد إلى الدور العلوى . حقا ! سأدق باب هذه العجوز التى دعتنا إلى شرب الشاى مع ابنتها .

مـيـمى : الزمى صوابك . لا تستطيعين أن تذهبى إلى هذا البيت.

صـوفـيـا : أستطيع ذلك. وأستطيعه جيدا . سوف يسران لرؤيتى . سأقول لهما : جئت أنعم بصحبتكما .

ميمي : قلت لك : لا تستطيعين .

صوفيا : أتقول ذلك ؟ ها أنا ذاهبة إذن (تخلع ثوبها بحركة مفاجئة . بينما يحاول ميمي أن يثنيها عن ذلك) .

ميمي : لا تكوني حمقاء .

صوفيا : سأذهب ، سأذهب ، سأذهب ! (يمسك ميمي بذراعها) دعني ، أنت تؤلمني ، سأذهب في زيارة قصيرة وأعود . اتفقنا ؟

ميمي : قلت لك ليس باستطاعتك أن تذهبي . اسمعي ، هذه المرأة مجنونة .

صوفيا : مجنونة ؟

ميمي : مجنونة . كيف أعبر لك عن ذلك . إنها مختلة العقل .

صوفيا : تكذب علي . لا أصدقك .

ميمي : كل من في البيت يعرفها . . أول ما يجب أن تعرفيه أنه ليس لها ابنة ، بل لم يكن لها ابنة قط .

صوفيا : لا أفهمك .

ميمي : (يبتعد . يتناول قدحه من جديد) كان لها ابن قتلوه أثناء الاحتلال أمام عينيها ، فاختل صوابها . فهمت الآن ؟ نسيت ابنها المقتول . وخيل إليها منذ ذلك الوقت أن لها ابنة تجول في البيت ، وتستقبل الناس ، وتخبز الفطائر .

صوفيا : (غير متأكدة) مستحيل هذا . أنت تسخر مني .

ميمي : أقول لك يعرفها الجميع هنا . تتنقل بين الشقق نازلة صاعدة وتزعج هذا تارة ، وتزعج ذاك تارة أخرى .

صوفيا : (تجلس على الأريكة بحركة آلية)ما كان يجب أن تقول لى هذا . حزنت من أجلها .
ميمى : ما كنت سأخبرك لولا أنك أصررت على ذلك كثيرا .
صوفيا : تصور ! أى أشياء يسمعها المرء إذن ، ما دام الأمر على هذا النحو ، فهنا أفضل . ها هو يخفت مرة أخرى .
ميمى : ما الذى يخفت ؟
صوفيا : الضوء .
ميمى : يخيل إليك ذلك .
صوفيا : قتلوا كثيرون آنذاك - أليس كذلك ؟ - فى زمن الاحتلال . لم أكن قد ولدت بعد . أما أنت فلابد أنك كنت شابا . ماذا كنت تفعل ؟ هل كنتم تقاسون كثيرا ؟
ميمى : اختلف الأمر .
صوفيا : ماذا يعنى «اختلف الأمر» ؟
ميمى : قاسى البعض ، والبعض الآخر لم يقاس .
صوفيا : وأنت كيف أمضيت تلك الحقبة .
ميمى : أنا . . كنت أدرس الهندسة الكهربائية .
صوفيا : صحيح ؟ ولم تكمل دراستك ؟
ميمى : كلا .
صوفيا : وبعد ؟
ميمى : لم يكن ثمة «بعد» ؟
صوفيا : ماذا فعلت بعد ذلك ؟ كيف امضيت كل هذه السنين . لماذا هجرت الهندسة الكهربائية ؟

ميمى : متاعب .. (يزداد انفعاله) .
صوفيا : اتعرف ؟ تجيبنى على كل ما أسألك بأنصاف إجابات . لا يمكن لحديث أن يتصل هكذا . (تهب واقفة) سئمت . سئمتك !
ميمى : لا تهبى واقفة هكذا ، كل لحظة .
صوفيا : سأرحل ، وليحدث ما يحدث .
ميمى : ستبقين هنا ، كما اتفقنا . وفى صباح الغد ، ستأخذين حقيبتك وترحلين . ها هو سريرك ، ارقدى ونامى ، إذا أردت . سأذهب إلى المطبخ .
صوفيا : ليس لى رغبة فى النوم . ولكن ماذا تريد منى فى النهاية ؟ أى إنسان أنت ؟ يخيل إلى أنك لست فى صوابك .. إلا إذا كنت .. حسنا ، إذن ، سأبقى ولكن ستحادث . استمع ؟ لست مجرد متاع تجلبه إلى هنا ، وتتركه مهملاً فى الركن ! ستحادث !
ميمى : وهل لدينا ما نتحادث فيه ؟
صوفيا : لدينا الكثير . قبل كل شيء ، لماذا انفصلت عن زوجتك؟
ميمى : إنها حكاية معقدة .
صوفيا : ها قد عدت إلى الكلام المنقوص . كم سنة عشتما معا؟
ميمى : عشر سنوات .
صوفيا : لابد أنها كانت امرأة دميمة . هية ؟
ميمى : كيف خطر لك مثل هذا الخاطر ؟
صوفيا : هكذا . دميمة وعجوز . هذه هى المرأة التى تليق بك . اتعرف على أية هيئة أتخيلها ؟ بجدائل محلولة ، وعينان صغيرتان وأنف مثل منقار طائر !

ميمي : كلا ، على الإطلاق. كانت فائقة الجمال .

صوفيا : دميمة ! كانت دميمة ! هذا الثوب يستحيل إن كانت ترتديه امرأة جميلة . الجميلات يرتدين ملابس من الدانتيلا متماوجة الأطراف . ولابد أنها كانت عجوزا . هية ؟ مائة عام !

ميمي : كنا من سن واحدة .

صوفيا : ها أنت تعترف ! صدقت عندما قلت إنها عجوز! ومخبولة ومجنونة وبخيلة ! أجل ، بخيلة . كانت بخيلة على الأخص ! ها ، ها ، ها ، ها ، ها ، (انتابتها حالة شبه هستيرية ، مضت تقفز حوله) يا للحياة السوداء التي كنتما تحيانها معا . لو كنت أعرفكما ما كنت سأضع قدمي في بيتكما لزيارتكما . كنت سأتقزز حتى من القهوة التي كنتما ستقدمانها إلى . كانت الأقداح ستحمل عليها بصمات .

ميمي : كفى عن السخافات ! ماذا دهاك ؟

صوفيا : تغضب ، هية ؟ اسمع ، هل تريد أن نلعب لعبة ؟ نلعب كي يمضى الوقت ؟ سأتظاهر بأني زوجتك . (تنكش شعرها ، وتلقي به على وجهها ، وتسير بخطوات متخبطة) وأنت زوجها . تعال قل لى ماذا كنتما تفعلان ، عندما كنتما معا ، ماذا كنتما تقولان ؟

ميمي : كفى ، أقول لك . هل جننت ؟

صوفيا : (ماسة) لماذا طلقتها ؟ قل لى ، قل لى . هل فاجأتها مع عشيق . أم فاجأتك هى ؟

ميمي : لا هذا ، ولا ذاك . كل ما فى الأمر ، إننى ما كنت أصلح للزواج . ما كنت أصلح لشيء على الإطلاق - على الإطلاق وأنى لأكرر عليك القول ، كفى . ليست بى رغبة فى أن أتحدث عن ذلك . . .

صوفيا : ليست بك رغبة ، لأنه ليس لك مصلحة فى ذلك. ليس لك مصلحة فى أن تقول ماذا كان يدور بينكما . أكاد أراكما أمامى . لعلكما كنتما من أولئك الذين يتبادلون الشتائم طول النهار . يتضاربون ثم يرتدون أفضل ملابسهم ويخرجون للنزهة . ولكن ذات يوم ، لم يعد أحدكما يحتمل، ورحل. أليس هذا ما حدث ؟ قل لى من منكما رحل أولا ؟

ميمي : أنا الذى رحلت أولا. لكن لم يحدث شيء مما ذكرته . رحلت لأننى أردت أن أبقى وحدى . فهمت ؟ عشر سنوات فيها الكفاية .

صوفيا : تبقى وحدك كى تتفرغ لأعمالك القذرة ، وتجلب بلا قيد من تشاء من النساء إلى شقتك .

ميمي : أنى لا أجلب إلى شقتى أحدا . أنت أول امرأة وطأت هذا البيت منذ أن استأجرته، وكان ذلك من شهر مضى، ولم أحضرك من أجل هذا الذى تظنينه .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ (برهة صمت) لماذا دعوتنى لأنام هنا الليلة؟

ميمي : لا أدرى . . لا أدرى . . لا تسألينى . . ربما لأننى أشفقت عليك فجأة.

صوفيا : لا أصدقك .

ميمى : أنت محقة . ربما أردت أن أعرف كيف يكون الحال فى صحبة إنسان آخر . طوال هذا الوقت الذى أغلقت على نفسى فيه الباب ، لم أكن أرى مخلوقا .

صوفيا : (ماسة) لماذا اغلقت على نفسك الباب ؟ ما الذى دهاك؟ أتخشى من شيء ؟ فى لحظة خطر ببالى أنك ارتكبت جرما وتختفى بسببه .

ميمى : (ماضيا دون ان يعبرها اكتراثا) طوال شهر مضى ، كنت أفعل ما يروق لى .

منذ اللحظة الأولى ذاتها التى جئت فيها قلت لنفسى : ها أنا فى النهاية وحيد بين جدران أربعة ، دون أن يكون هناك من يطالبنى بحساب . تستطيع أن تتصرف كما يحلو لك ، مادمت وحيدا . تستطيع أن ترتكب حماقات ، أن تسير على أربع . ليس ثمة شهود على ما تفعل . ذات يوم تناولت طعامى جالسا على الأرض ، وفى يوم آخر أكلت بأصابعى دون شوكة أو سكين . وقد ضحكت من ذلك كثيرا .

صوفيا : يا لها من تصرفات بشعة ! ماعدت أطيق أن أسمعك . (تجول فى الغرفة يائسة) يا آلهى ، كم أنا سيئة الحظ على الدوام ، كم أنا سيئة الحظ ! لم ألتق قط بإنسان لائق ، سواء أكان رجلا أو امرأة .

ميمى : (يمضى خلفها) اسمعى . هيا ، اسمعينى . . .

صوفيا : (ماضية فيما كانت عليه) قمت بسفر طويل . يسمع الآخرون أنى كنت بألمانيا ، فيقولون ما أجمل الحياة هناك ، أما أنا فقد ذقت فيها الأهوال . . .

ميمى : هل ستتركيننى أكمل كلامى ؟ كانت زوجتى تعزف على البيان . كانت تحبه كثيرا . كانت مفتونة به . تجلس وتتدرب عليه ساعات طوال .

صوفيا : فلتفعل ما تشاء ، ما الذى يعنينى ؟

ميمى : وطوال إقامتنا فى دار أبيها الذى كانت به غرف عديدة كان الوضع محتملا . كان بيتنا جميلا . من طابق واحد . لا يشاركنا فيه أحد . كان أبوها غنيا .

صوفيا : آه ، قل لى هذا ، كانت زوجتك غنية ! من أجل ثروتها تزوجتها .

ميمى : لكننا تشاجرنا مع أبويها العجوزين ، واستأجرنا شقة صغيرة فى إحدى العمارات ، لأنه كان علينا أن نقتصد. لكن ذلك لم يكن سهلا .

صوفيا : آها ، طوال الوقت الذى كنتما تحلبان فيه حماك العجوز كانت تسير الأمور على ما يرام .

ميمى : لا تقاطعينى . ما كنت أقصد ذلك . السكان ، السكان الآخرون من حولنا اشتركوا فى النهاية . ترين أن زوجتى أصبحت مضطرة بعد ترك بيت أبيها أن تقوم بكل الأعمال المنزلية وحدها . كان عليها أن تذهب إلى السوق ، وأن تطبخ . ولم يعد يبقى لها وقت بالنهار لأنها أيضا بطيئة فى أداء الأعمال . ولهذا فقد كانت

تعزف بالليل . كانت تبدأ لنقل فى العاشرة وتنتهى فى الواحدة ، أو فى الثانية . . لكن الناس كانت تريد أن تنام ، وحتى لا يطردوننا ، ولم يكن الانتقال إلى بيت آخر بالأمر السهل ومعنا البيان ، قررت أن تعزف بالنهار، وتقوم بسائر الأعمال ليلا .

صوفيا : بكل تأكيد ، كانت زوجتك قد فقدت الصواب !

ميمى : أليس كذلك ؟ ضعى نفسك فى مكانى من فضلك . طوال النهار البيان يصدع رأسى ، قلت لك إن الشقة كانت صغيرة ، تقريبا بحجم هذه الغرفة ، ثم بعد ذلك فى الليل ، أوه يا إلهى ! جعل الليل كى يلقى المرء بنفسه على سريره وينام ، وهذه أحلى لحظات العمر ، ولكن كيف يغمض لى عين ، وأنا أحس بها تهيم مثل شبح من المطبخ إلى غرفة المائدة . ترفع وتضع صحوننا وحللا تفتح وتقفل صنابير الماء . ورائحة الطبيخ المحروق تخرق خياشيمى ؟

صوفيا : (تجلس مجهدة وتتنهد) هى تريد أن توهمنى بأنك رحلت عن البيت لأن زوجتك كانت تعزف على البيان !

ميمى : كلا ، بلاشك ، كلا ، ليس بسبب ذلك . كانت امرأة مثل عديدات غيرها . سوف كان بإمكانى أن أحتملها ، كما احتملت أموراً أخرى .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ لماذا ؟

(برهة صمت . يبتعد ميمى ويتناول قدحه من جديد) .

ميمي : (بلهجة هادئة) لأنه جاء . جاء ذلك الشاب . كان يجيء ويجيء . كان يعرف أين أقيم ، يعرف أين كان بإمكانه أن يجدني .

صوفيا : أى شاب هذا ؟ عمن تتكلم ، مرة أخرى ؟

ميمي : كان الوقت ليلا ، حوالى الثامنة - كنت قد عدت من عملى توا . جلست بجوار النافذة . أتابع الأولاد الذين يلعبون فى الميدان . لم أكن أفكر فى شىء . كنت أدخن . كنت أحس بالتعب ، بتعب شديد . كانت ساقاى تؤلمانى عند المفاصل - وهى تؤلمنى دائما كلما تغيرت الفصول . هنا ، تحت ، وعند الركبة . فى لحظة دخلت زوجتى وأضاءت النور . كانت تحمل كومة من الثياب ، شرعت تطويها كى تكويها . وعندئذ ، دق الجرس . فجأة . نهضت . وذهبت أفتح . كان هو .

صوفيا : من ؟

ميمي : أقول لك هو . الشاب ! وقف عند الباب ، وقال لى : «إنى قادم من عند أخيك فى المصحة» قلت له «ليس لى أخ فى المصحة . ليس لى أخوة على الإطلاق» قال لى «لكن كلا . ليست هذه هى الإجابة . كلمة السر ، تذكرها ، كلمة السر .»

صوفيا : أى كلمة سر ؟ أى إجابة ؟

ميمي : كانت الإجابة «مقهى القمر الجميل يسهر حتى الصباح».

صوفيا : لا أفهم شيئا .

ميمى : «لا أفهم شيئا» هذا ما قلته آنذاك . وأردفت أقول «لابد أنك تبحث عن شخص آخر» قال لى «ليس لدى وقت أضيعه . ميلتوس موجود هنا . ميلتوس . وهو يريدكم أنتم القدامى» أتسمعين؟ «أنتم القدامى» أجبته «اسمى ديمتريوس كيسوبولوس . وهذه زوجتى . أعمل فى دكان لبيع التحف القديمة ، وأتقاضى عمولة . لا أعرف ماذا تقصد» فقال لى وقد بدا عليه الاضطراب «حسناً جداً . سوف أعود . أفهم . لا تستطيع الآن ، ولكن تذكر أننى بعد قليل سأعود» .

صوفيا : (تنهض تمسك رأسها بيديها) أريد أن أضع لقمة فى فمى . إنى جائعة . وبدأ يحل بى النعاس .

ميمى : (يمضى ويقف خلفها) وعاد مرة أخرى . جاء إلى فى الدكان هذه المرة وبصحبته ماريا . كان شعرها قد أبيض كله تقريبا . وكان الشاب يتحدث من جديد عن ميلتوس . كان يقول «غاب ميلتوس عشرين عاما . اختفى عشرين عاما . خسر عشرين عاما ، ولكن الآن يجب أن يفعل شيئا» وكانت ماريا تثبت أنظارها فى عينى .» وقلت «وماذا تعتقد أننى كسبت ؟ لم أضح سوى مستخدم فقير» وقالت ماريا «إننا لا نطالب بأعباء» فقلت «أما أنا فأطالبكم . زوجتى تعذبنى . مرة كل أسبوع أصطحبها إلى السينما ، وفى أمسيات الآحاد نتناول العشاء فى

حانة قريبة . إنها تعانى من معدتها ، وتوقظنى بالليل لأحضر لها أقراصا من الصيدلية . أهذه حياة؟ أهى حياة هذه ؟ إنى أسألكم ؟ كلا ، إنها ليست حياة . إذن ، اتركونى هادئا» .

صوفيا : إنى جائعة . معدتى تشدنى .

ميمى : «سنمر غدا» كانت هذه هى الإجابة (بصوت مختنق) فقلت من داخلى سأرحل . سأرحل من البيت ومن الدكان ، ولن تجدوننى فى أى مكان .

صوفيا : أحضر لى شيئا إذن . أو قل لى أين الطعام كى أعده بنفسى .

ميمى : (بضراوة) كفى !

صوفيا : قليل من اللبن ، على الأقل ، قليل من اللبن الدافىء وكسرة خبز .

ميمى : كفى ، قلت لك !

صوفيا : أبقيتنى هنا عنوة ، وتتركنى الآن جائعة . أحضر لى شيئاً آكله .

ميمى : (يمضى منكبا عليها) ماذا قلت ؟

صوفيا : أحضر لى شيئا آكله . (يتراجع) .

ميمى : أعيدى قول ذلك !

صوفيا : (جزعة) لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لما أقل شيئا سيئا . (يتراجع) ماذا ستفعل بى هيه ؟ سأصرخ .

ميمى : إنى أنظر إليك .

صـوفيـا : ساصرخ .

مـيـمى : انى أنظر إليك .

صـوفيـا : لماذا تنظر إلى ؟

مـيـمى : أريد أن أرى كيف يكون الحال عندما يوجد بجانبك إنسان من جديد ، يشاركك غرفتك ، ويرهقك بثرثراته الحمقاء . يحس بالبرد ، يتدفأ ، يريد أن يفتح النافذة ، يريد أن يذهب فى جولة ، يشعر بالجوع (يشرع فى التقدم نحوها) .

صـوفيـا : (تتراجع) مجنون أنت ، أم سكران ؟

مـيـمى : فهمت الآن لماذا أحضرتك ؟ كى أراك ترحلين . قضينا ساعة معا . سنقضى ساعات أخرى حتى منتصف الليل. ثم ستنامين حتى الصباح . ستتجولين قليلا بالثوب المنزلى . ستدخلين الحمام . ستحدثين جلبة . ستسألين عشرات المرات ألا زالت السماء ألا زالت تمطر ، أم توقف المطر ؟ ستسألين لماذا طلقت زوجتك ، لماذا تخليت عن دراسة الهندسة الكهربائية . .

صـوفيـا : لا تقترب منى !

مـيـمى : ماذا سنأكل اليوم ، ما هو المرتب الذى تتقاضاه ، كم تدفع من إيجار ، ماذا فعلت أثناء الاحتلال ، ما الذى فعلت طوال هذه السنين . ستسألين ، عن كل شىء ستسألين . ولكن فى النهاية ستأخذين حقيبتك وترحلين سأغلق الباب خلفك ، وستصبح هذه الغرفة ملكى من

جديد ، لن يحضر أحـد هنا . لن يعثر على أحد . لن يعثروا على أبدا . أبدا .

صـوفيـا : لا تقترب منى ، أنت مجنون !

مـيـمى : عشـرون عامـا ، شىء كثيـر . لن نبدأ منذ الـبداية من جديد .

صـوفيـا : لا تتهور فتلمسنى . أنا قاصر .

مـيـمى : أنت تعرفين الآن كل شىء .

صـوفيـا : سأصرخ .

مـيـمى : لا تصرخى . لن أفعل بك شيئا .

صـوفيـا : النجدة !

مـيـمى : (يرجها بعنف) لن أمسك بشىء .

صـوفيـا : النجـ . . (يدق الجرس . يبقى الاثنان متسمرين) الجرس .

مـيـمى : هل يعرف أحد أنك جئت هنا الليلة ؟

صـوفيـا : كلا .

(يدق الجرس من جـديد بإصرار . برهة صمت . يتبادلان النظرات . ثم يمضى إلى الباب باضطراب داخلى شـديد . ولكن بثبات . تدخل العـجوز وهى على الدوام حلوة هادئة وناعمة . كل ما فى الأمر أنها الآن لا تبتسم) .

العـجوز : هل جـرى شىء ؟ مـعذرة إذ اضـايقكمـا فى مـثل هذا الوقت . لكننى أرجـوكما لا تحـدثا جلبة (ينظر إليهـا ميمى وصوفيا محبطين من جراء المشهد السابق) . إنى وحيدة ، وأجزع . إنى وحيـدة . نامت ابنتى مـبكرة الليلة . أغلقت على نفسها باب غرفتها ونامت . أنها كما تعرفان تعسة جدا،

لا يحضر أحد لرؤيتها أبدا . ما من أحد يطلب منها أن تخرج معه . من الأفضل لها أن تنام . وإلا فإنها تجلس فى ركن من الأركان وتبكى . تبكى بلا انقطاع . . ولهذا أرجوكما - لا تحدثنان جلبة ستوقظانها - هس. . هدوء . (تحنى رأسها إلى أسفل قليلا) طاب مساؤكما.

(تخرج) .

صوفيا : (تغطى وجهها فجأة ، لكن دون بكاء) لا أطيق ، لا أطيق هذه المرأة تجوس هنا .

(يستدير ميمى وينظر إليها ، كما لو كان يراها لأول مرة حقا) .

ميمى : سأذهب لأعد لك شيئا تأكلينه .

صوفيا : (تخفض يديها من على وجهها . تحاول أن تسترد هدؤها) ماعدت أشعر بالجوع .

(تنهض . تخطو بضع خطوات بلا هدف . يتابعها ميمى بنظراته) .

ميمى : سترحلين أم ستبقين ؟

صوفيا : لا أستطيع الرحيل . كذبت عليك عندما قلت أن معى نقودا . أنى لا أحمل سوى تذكرتى إلى أثينا .

(صمت)

ميمى : هل أنت متأكدة أنك لا تريدين طعاماً ؟

صوفيا : بى رغبة شديدة إلى النوم . إنى متعبة من السفر .

ميمى : حسنا ، إذن ، ها هو سريرك . سأعد لنفسى فراشا فى المطبخ .

صوفيا : لعلك . . تفضل أن تنام هنا . سأذهب أنا إلى هناك .

مـــيـــمى : كلا . . . طابت ليلتك .

(يخرج . تبقى صوفيا وحدها . تأخذ بحركات بطيئة فى إعداد الأريكة . وفجأة تخر على الأرض وتشرع فى البكاء بحرقة) .

ستار